المؤسسة العربية للدراسات والنشر



علماء العرب للفتيان والفتيات

٨

الكِنْدي

المؤسّسة العربيّة
للدراسات والنشر
بناية برج الكارلتون ـ ساقية الجنزير ـ
ت ١/٨٠٧٩٠٠ برقياً «موكيالي»
بيروت ـ ص.ب : ١١/٥٤٦٠ بيروت
تلكس : LE/DIRKAY ـ ٤٠٠٦٧

الطبعة الثانية منقحة
١٩٨٨

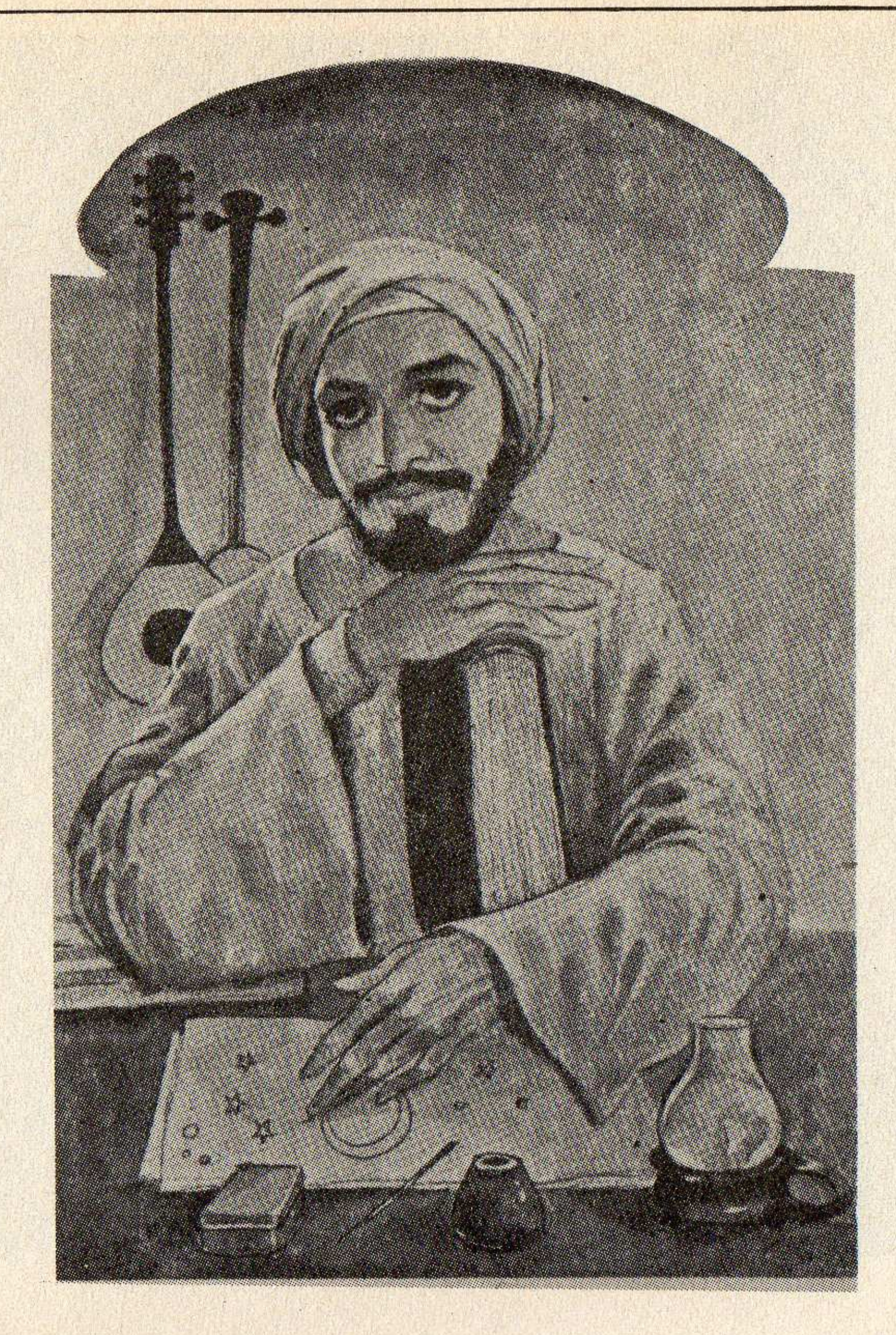
الكِنْدي

فيلسوف العرب، وسَليل الملوك

إعداد : راجي عنايت

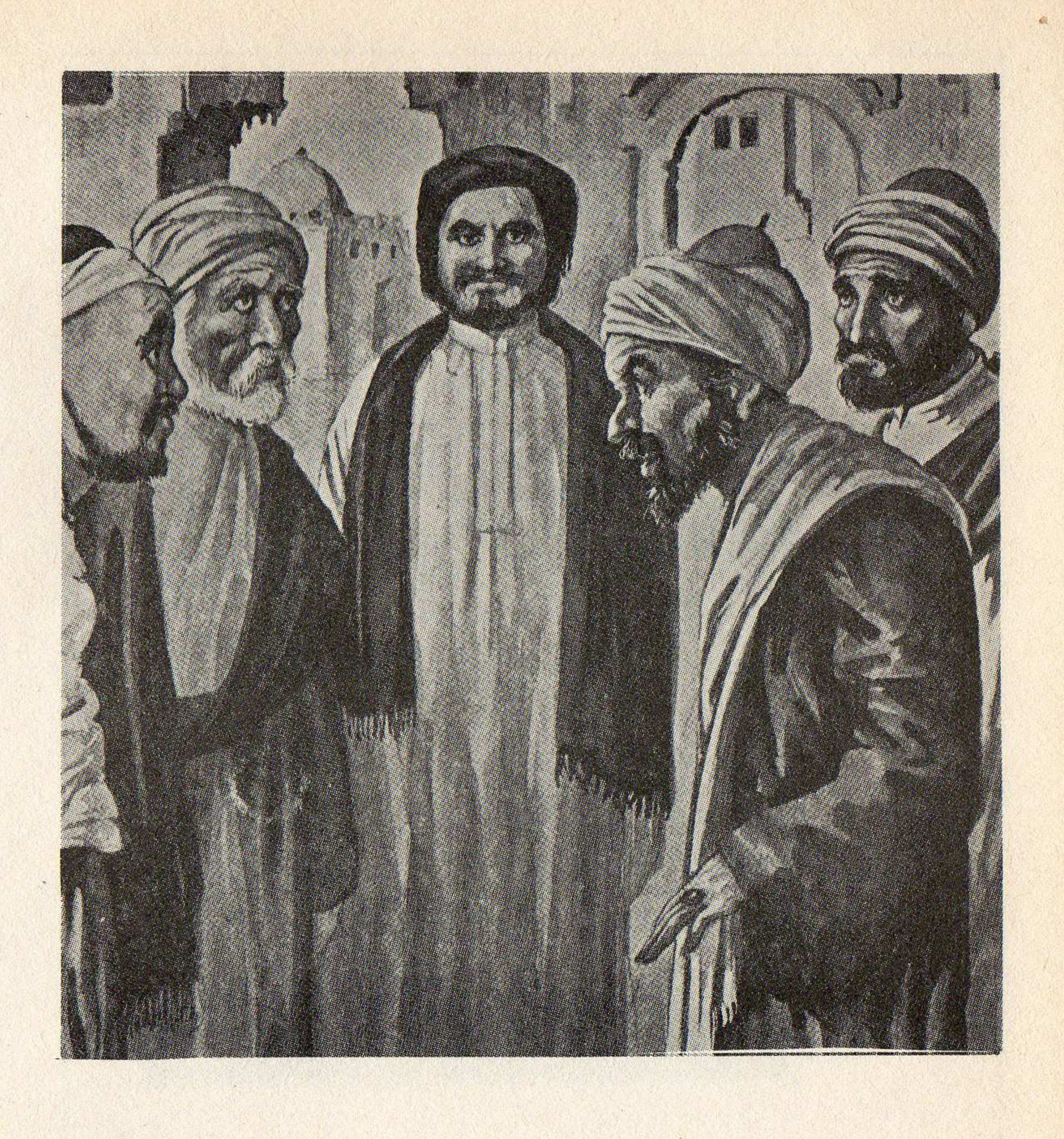
رسُوم : هبَة عنايت

المؤسسة
العربية
للدراسات
والنشر



هُوَ

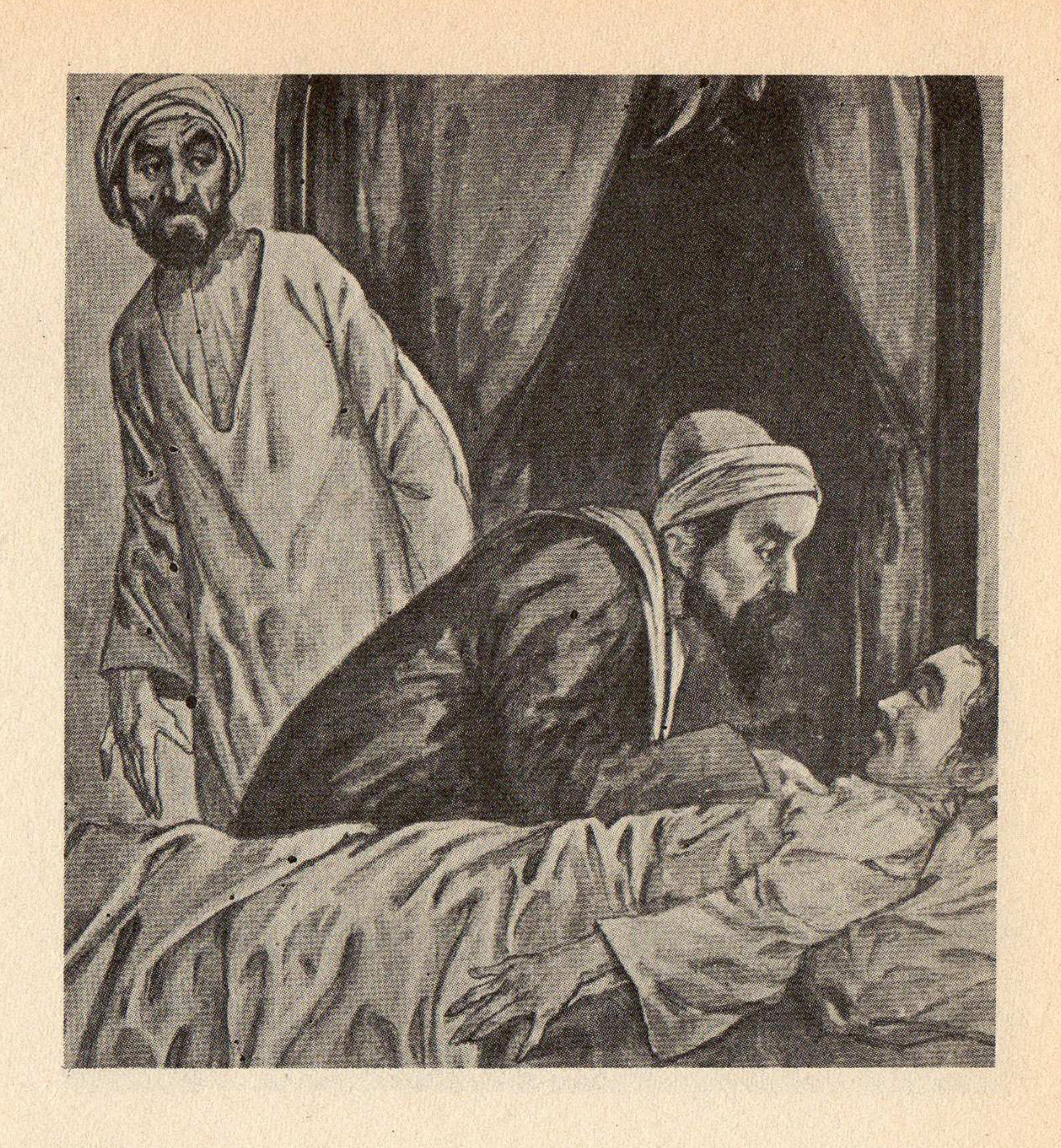
يعقوب
ابن
اسحَاق
الكندي



اعتادَ أحدُ كبارِ التُّجارِ من جيران الكِنْديّ أن يَطعنَ فيه، ويَشُنَّ عليهِ الحَمَلاتِ أمامَ باقي الجيران. وكان الكِنْدِيُّ يتحملُ مُشاكسةَ التاجرِ في صبْر، ويتجاهلُ كلماتِهِ الجارحةَ فِي ترفّع، فيزيدُ هذا من ثورةِ التاجرِ عليه.



وذاتَ يوم، سقطَ ابنُ التاجرِ مريضاً، لا يتحرّك أو يتكلّم . وكان ذلك الابنُ هو الذي يتولّى معاملاتِ الأبِ وحساباتِه، فلم يَدْرِ ما عنده للناس وما له عندَ الناس . حزِنَ التاجرُ مَرتين، مرةً على ابنهِ المريض، ومرةً أخرى على تجارتِهِ التي اختلطت أمورُها .



لجأَ التاجرُ الكبير إلى العديدِ من الأطبّاء، فأعرضَ أغلبُهم ليأسِهم من حالةِ الابن . أما الذين قَبِلوا معالجةَ المريض، فقد كانوا يدخلون ويخرجون، ويَصِفُون الدواءَ إثرَ الدواء، دون أي تحسّنٍ في حالةِ المريض .



تضاعفت حَسْرة التاجر، وتزايدَ حزنُه، فنصحه الجيرانُ قائلين: «لماذا تذهبُ بعيداً للبحثِ عن الأطبّاء، وإلى جوارِك فيلسوفُ زمانِه، وأعلمُ الناسِ بعلاجِ هذه العلّة».

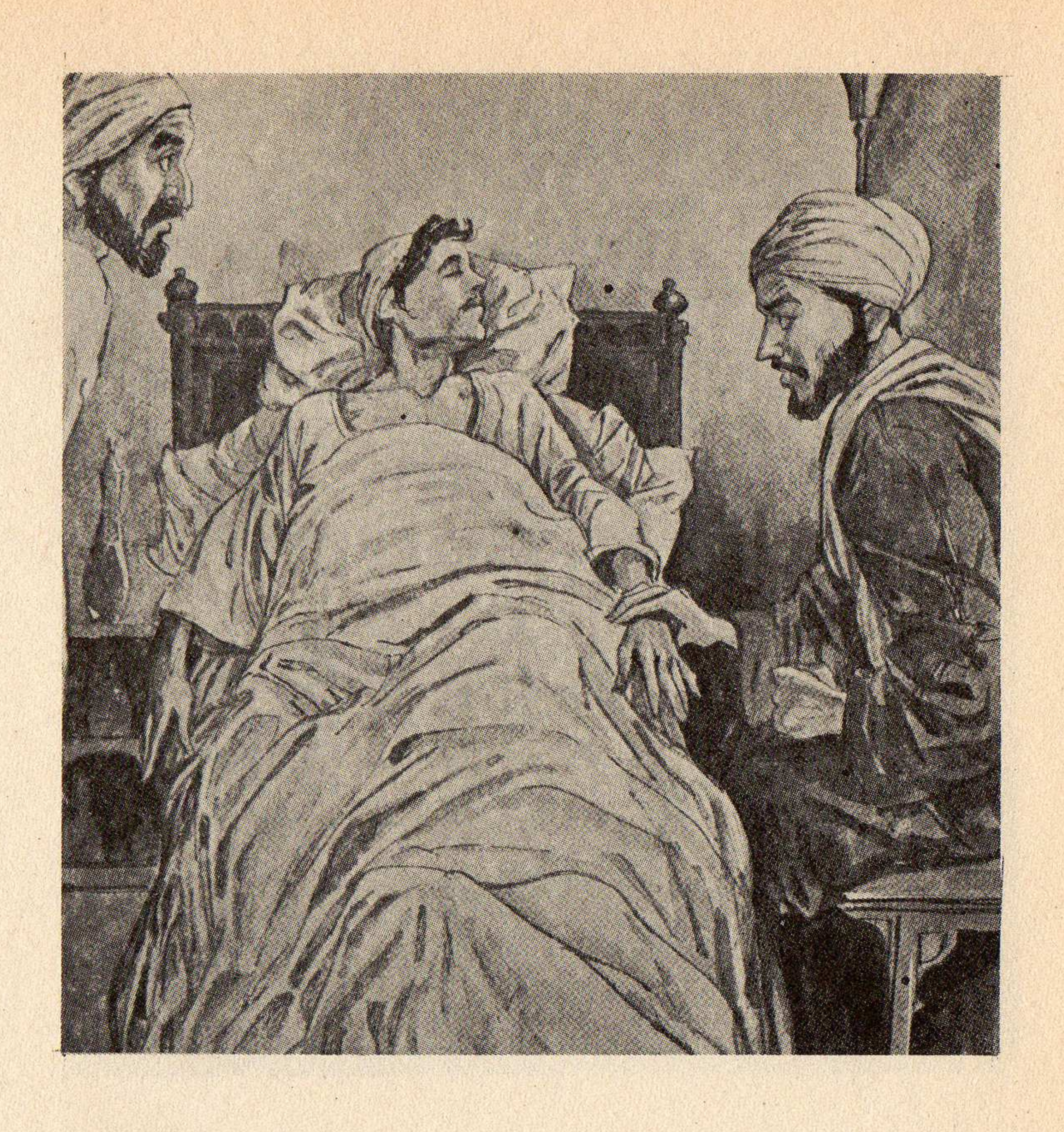
سألَهم عمّن يَقْصِدون. فأجابُوا «الكِنديّ».



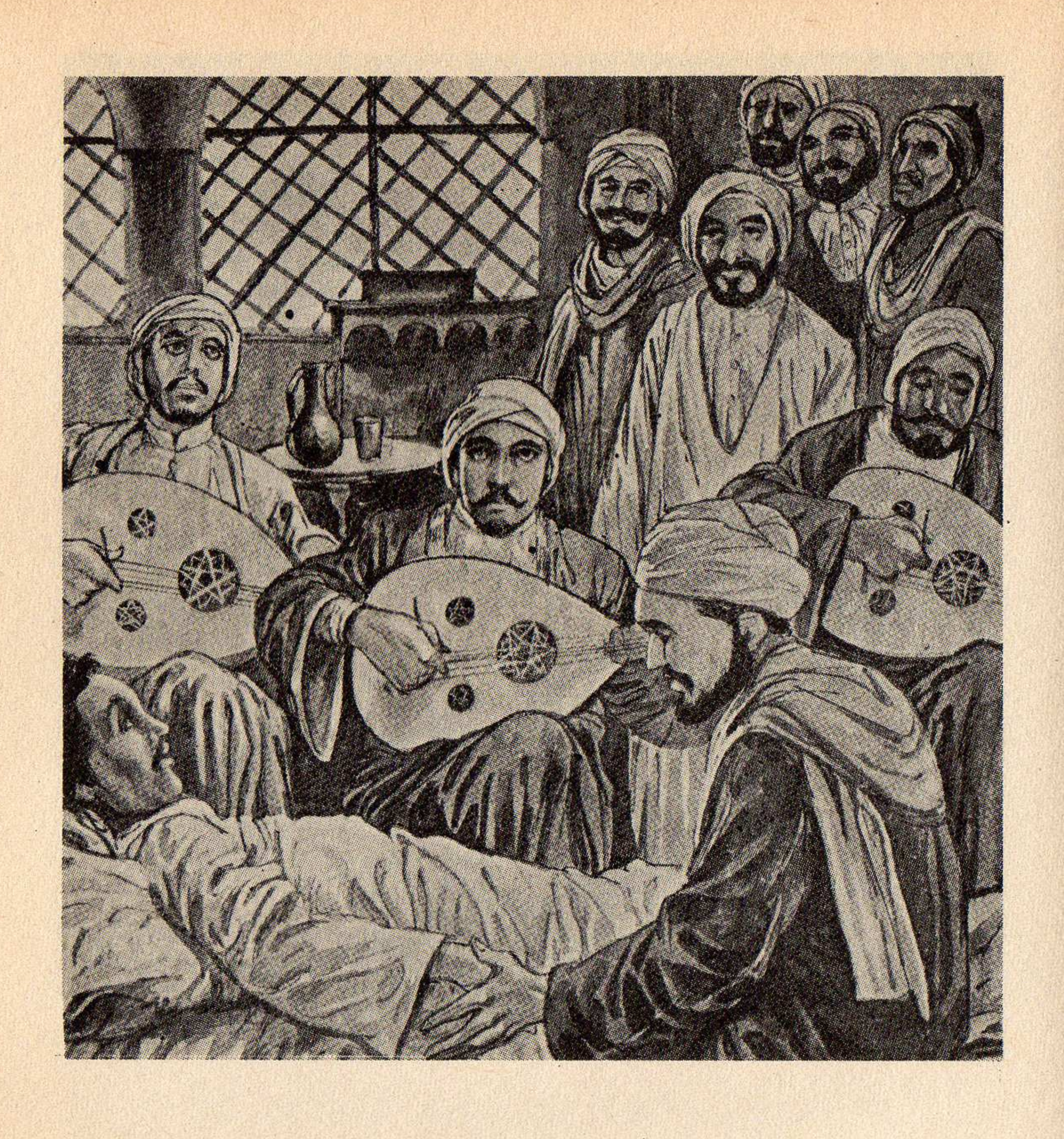
تردَّدَ التاجر، وهو يتذكرُ ما فعلَه بالكنديّ من قَبل . ثم توسَّلَ إلى الجيران، أن يتوسَّطوا لدَى الكِنديّ حتى يقبلَ القيامَ بعلاجِ ابنِه، متناسياً ما قد وجّهَه إليه من إهاناتٍ وشتائم .



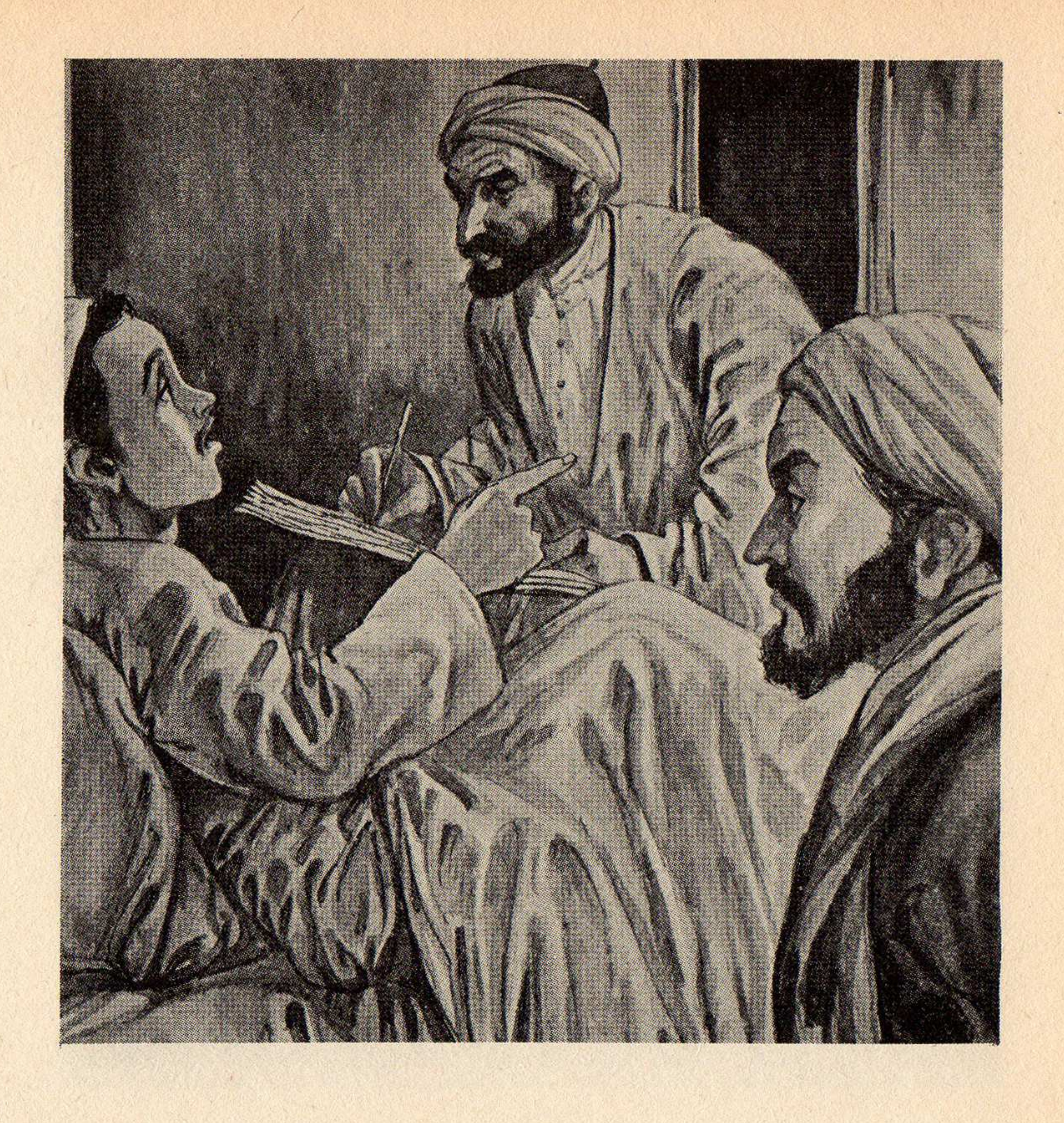
يستجيبُ الكِنديُّ للواجبِ الإنساني، فيذهبُ مع الجيرانِ إلى قَصْرِ التاجرِ الكبير. دخلَ على الشابِ المريض، وأخذَ يفحصُه فحصاً دقيقاً، ويوجّهُ العديدَ من الأسئلةِ إلى أهلِه، مستقصياً أسبابَ هذا المرض.



بعد أن انتهَى من الفَحص، طلبَ الكِندي من بعضِ اصدقائِه أن يذهبَ لاستدعاءِ أربعةٍ من تلاميذِه في علمِ الموسيقى. اختارَهم الكنديُّ من الذين يُجيدون العزفَ على العود، والتحكمَ فِي نَغماتِه.



حضرَ التلاميذُ يحملُ كلٌّ منهم عودَه، فطلبَ منهم الكِنديُّ أن يَعزِفُوا أنغاماً مُعَيَّنة، شرَحَ لهم طرِيقةَ عزفِهَا. بدأ العزف، وأمسكَ الكنديُّ بيدِ مريضِهِ يَجُسُّ نبضَه. . وما أن مضى بعضُ الوقت، حتى تحركَ الشَّابُّ وجلسَ وتكلم.



كاد التاجرُ أن يسقُطَ مُغْمىً عليه من فرطِ الفرحَة، لكن الكنديَّ طلبَ منه الإسراعَ بتسجيلِ المعلوماتِ والحساباتِ التي يريدُ أن يعرفَها من الابن. واستطاع التاجرُ أن يحصلَ من ابنِه على بيانٍ كاملٍ بكلِّ ما لم يكن يعرفُه.



بعدَ قليلٍ عادَ الشابُّ إلى إغمائِه، فألحَّ الأبُ على الكنديِّ في أن يكررَ العلاج. قال له الكندي إن حالة الابن ميؤوسٌ منها، وإنه اعتمدَ على الموسيقى، لإفاقةِ الابنِ فيما بقيَ له من رمقِ الحياة.

فيلسوفُ العربِ، وسليلُ الملوك

هو يعقوبُ بنُ إسحاقَ الكنديّ، فيلسوفُ العربِ وأحدُ ابناءِ ملوكِها، هكذا بدأَ المؤرّخون حديثَهم عن العالِمِ الكبير.

حظِيَ الكنديُّ بلقبِ «فيلسوف العرب» لأنه أولُ عربيٍّ مسلمٍ مهَّدَ لنشرِ الفلسفةِ بين العربِ في ظلِّ الإسلام. فإلى جهودِ الكنديِّ في النقلِ والترجمة، يعودُ الفضلُ في توافرِ المعارفِ الفلسفيةِ اليونانيةِ بلغةٍ عربيةٍ سَهلة، تشجعُ الدارسين العربَ على أن يقرءوها. كما أنه سعى إلى تبسيطِ الموضوعاتِ الفلسفيةِ المترجَمَةِ وتلخيصِها، حتى يَسهُلَ على الدارسِ استيعابُها. فكان الكنديُّ بذلك هو الذي اختارَ للفلسفةِ الإسلاميةِ وجهتَها ومسارَها، وزادها وُضوحاً تلاميذُه من بعدِه.

والكنديُّ هو أولُ من حظيَ بلقب «فيلسوف العرب»، وذلك لتعددِ معارفِه وقدراتِه، وتمكُّنِه من مختلِفِ العلوم. فهو بالإضافَةِ إلى تمكنِه من العلومِ الفلسفيةِ بمعناها الجديد، كان عارفاً بعلومِ المنطقِ والرياضيات والطبِّ والفلكِ والإلٰهيات، ثم الآدابِ من نَحْوٍ وشعرٍ. وكانت العربُ تطلقُ لَقَبَ «فيلسوف» على من يُحيطُ بكلِّ العلومِ والآداب، ولا يتخصصُ في أحدِها فقط.

أما صفةُ (سليل الملوك)، فقد حظِيَ بها الكنديُّ لأنه من سلالةِ قَحطانَ التي كان لها حكمُ اليمنِ في الجاهلية، ومن أجدادِه سبأُ بنُ يعْرِبَ بنِ قَحطان، أول ملوكِ العرب. ويمتدُّ نسبُ الكنديِّ في الجاهليةِ والإسلام، وجدُّه الأشعثُ بنُ قيس، عاشَ فِي الجاهلية، وسافرَ إلى الرسولِ صلى الله عليه وسلَّم مع وفدِ كِنْدة، وأسلمَ على يديه.

ويُحكى أن الأشعثَ هذا، قدِمَ على الرسولِ في موكبٍ من ثمانين فارساً. وعندما دَخلوا على الرسولِ وجدَهم يَرْتدون الملابسَ الغاليةَ المطرَّزَةَ بالحرير، ويزيّنون عيونَهم بالكُحل. فقال الرسول: ألمْ تُسْلموا؟. قال

الأشعث: بلى. فقال الرسول: فما بالُ هذا الحرير في أعناقِكم؟. فما كان منهم إلا أن شَقُّوا ثيابَ الحريرِ وألقَوْا بها أرضاً.

ورغمَ أن الأشعثَ وقومَه كانوا من بين من ارتدُّوا بعد وفاةِ النبيّ عليه السلام، إلا أنه سُرعانَ ما عادَ إلى حظيرةِ الإسلام، وشاركَ فِي الفُتوحِ الإسلامية، وأظهرَ شَجاعةً نادرة. شهدَ معركة اليرموك بالشام، ومعركةَ القادسِيةِ بالعراق، وكان ضمنَ الوفدِ الذي أرسلَه سعدُ بنُ أبي وقَّاصٍ إلى يَزْدَجرد ملكِ الفرس يَدعوه إلى الإسلام. وشارك الأشعثُ وهو الجدُّ الخامسُ لفيلسوفِنا الكندي، في حربِ المدائنِ وجلّول ونهاوند، وأخيراً أقامَ فِي الكوفة، وبنى لنفسِه داراً بها. وبقيت أسرةُ الكِندِيّ بها، حتى هاجرَ فيلسوفُنا منها إلى بغداد.

ورغمَ أن الأشعثَ قد تنازَل عن مُلكِه باليمن، وانتقلَ ليعيشَ في الكوفةِ حياةَ المسلمِ من عبادِ الله، إلا أن ابنَه محمَد بنَ الأشعث، مالت نفسُه بعد وفاةِ والدِه إلى الملكِ بما يحوطُه من عزٍّ وسلطان. لم يكن تحقيقُ ذلك الحلمِ ممكناً في عهدِ معاوية بنِ أبي سفيان، الذي قبضَ على

الدولـةِ بيدٍ من حديد. فمـا أن ماتَ معـاوية، وانتقلـت السلطـةُ إلـى ابنِـه يزيد، حتـى تجـددت الأطمـاعُ عنـد محمدِ بنِ الأشعث، وأمكنـه بالفعـلِ أن يحظَـى بإمـارةِ المَوْصِلِ عن طريقِ انضمامِـهِ إلى ابـن الـزّبير. ومـع اضطرابِ الأوضاعِ السياسية، يدخل محمدُ بـنِ الأشعثِ في مغامراتٍ تنتهِي بقتلِه وهدمِ دارِه.

أما الجدُّ الثالثُ لفيلسوفِنا، عبدُ الرحمنِ بنُ محمـد، فقد سارَ على نفسِ سبيلِ أبيه، وغايةُ ما وصلَ إليه تنصيبُه حاكماً على سِجْستان في بلادِ فارس، ثم قائداً على جيش البصرةِ والكُوفة. لكنّـه خرجَ بعـد ذلك علـى الحَجّـاج، واستطاعَ في عام ٨٢ هجرية أن يدخلَ البصرةَ بجيشِه وأن يخلعَ عبدَ الملكِ بنَ مروان، واستمـرت الحـربُ بينهمـا على مدى ثلاثةِ أعوام. ويقال إن عبدَ الرحمنِ ألقى بنفسِه من سطح قصرهِ فمات متحسّراً على ضَياعِ أملِ الوصولِ إلى الملكِ في عهدِ بني أمية.

عنـدَ انتهـاءِ عصرِ الدولـةِ الأمـوية، وبعـد أن وصـلَ العباسيون إلى الحكم، عادَ إلى بَني الأشعـث، ما كان لهم من نفوذٍ واحترام. فإذا كانوا قد تنازلـوا عن أحـلامِ

الملكِ والسلطان ، فقد اكْتَفَوْا بتولِّي بعضِ المناصبِ المهمّة ، كالولايةِ على الأقاليم ، ومناصبِ القضاء ، أو الإمارة ، أو الشّرطة .

فتولّى إسحاق ، والدُ فيلسوفِنا ولايةَ الكُوفة عام ٧٧٥ م (١٥٩ هـ) في عهدِ الخليفةِ المهدي ، وتولَّى بعد ذلك الشرطةَ في عهدِ المهديّ والهادي ، ثم في عهدِ هارونَ الرشيد .

وقد جَرَت العادةُ أن يسكنَ والي الكوفةِ في قصرِ الامارة ، الذي يقعُ خلفَ المسجدِ الجامعِ الكبير ، وفي هذا القصرِ ولدَ فيلسوفُنا يعقوبُ الكنديّ .

ولادتُه ودراستُه

ولدَ فيلسوفُ العربِ يعقوبُ الكندي بالكوفةِ في عام ٨٠١ م (١٨٥ هـ) ، في أواخرِ أيامِ أبيه ، فلم يستمتعْ طويلاً بالحياةِ في قصرِ والي الكوفة ، بما فيها من عزٍّ ونعيم ورخاءٍ وأُبّهة ، فما أن توفّي والدُه حتى خرجت أُمُّه بأسرتِها من قصرِ الإمارة ، وعادت إلى دارِها بالكوفة ، حيث عاشَ يعقوبُ فترةَ صباه .

ورغمَ أنّ الكنديّ نشأ يتيماً بعد وفاةِ أبيه، وبعد هجرةِ بني الأشعثِ من الكوفةِ إلى مختلفِ أنحاءِ البلاد، بحيث لم يبقَ للصبيِّ إلاّ أُمُّه، إلا أنه قد رأى آثار فَخامَةِ الإمارةِ وهو صبيّ، فانطبعت في ذاكرتِه. كما بقيت في خيالِه ذكرى ما سمعَه عن حَسَبِه ونسَبِه، عن أجدادِه الملوك، وأبنائِهم الذين طَمِعوا في الملك، وحتى البيتُ الذي عاشَ فيه بالكوفةِ مع أمه بعد موتِ أبيه، كان من أفخمِ دُورِها، يليقُ بأبيه الذي تولّى الإمارة، ويذكّرُ الصبيَّ بتاريخِ أجدادِه.

تعلَمَ الكنديُّ كما يتعلمُ أبناءُ المسلمين في ذلك الحين، القراءةَ والكتابةَ وبعضَ النْحوِ والعربية، حفظَ القرآنَ وبعضَ الحديثِ الشريفِ ومبادىءَ الفِقه، كما حفظَ الكثيرَ من الأشعار، التي يَسَّرت له معرفةَ أسرارِ البلاغةِ وأصولِ الفَصاحة.

وكانت الدراسةُ في ذلك الزمنِ حُرة، لا تُرغِمُ الدارسَ على استيعابِ علومٍ بعينِها قد لا يميلُ إليها، أو يجدُ أنها لا تتفقُ مع استعدادِه، وموهبتِه. فَمَن كان يهوَى العلومَ الشرعيةَ يتّجه إليها، أما الذي يعشقُ الحديثَ الشريفَ فقد

كان يبحثُ عن أقطابِ هذا العلمِ، يلقاهم ويتلقّى على أيديهم دروسَه، وهكذا بالنسبةِ لمختلِفِ فروعِ المعرفة، في الطبِّ أو الرياضياتِ أو الفلكِ أو التصوف.

في الكوفة، اندفعَ الكنديُّ إلى تحصيلِ العلومِ الدينيةِ والأدبية، وساعدَ على ذلك وجودُ العديدِ من كبارِ الأساتذةِ في هذه العلومِ يُقِيمُون بالكوفة. وكان علمُ الكلام، هو العلمُ الرائجُ في ذلك العصرِ الذي ظهرَ فيه المعتزلة، فكثُرت المقالات، وتعدَّدت الفِرَق، وتباينَت الأفكار. وقد شجّعَ الخلفاءُ في مجالسِهم حريةَ الرأي، وفَتَحوا أبوابَ الاجتهاد، وفي هذا يقالُ إن الخليفةَ المأمونَ كان يجلسُ للمناظرةِ في الفقهِ يومَ الثلاثاءِ من كلِّ أسبوع. فإذا حضرَ الفُقهاء، أُدخلوا حجرةً مفروشةً وقيل لهم: انزِعوا أخفافَكم ونِعالَكم. وكان المأمون يناقشُهم ويناظرُهم طوالَ اليومِ وحتى غروبِ الشمس. فإذا كان الكنديُّ قد دَرَسَ علمَ الكلام، فإنما كان يفعلُ ذلك مقلّداً ملوكَ عصرِه، حتى يرتفعَ إلى مستوى مجالسِهم، ويسمو إلى مقامِهم، ويسايرَ تيارَ العصرِ الذي كان يعيشُ فيه.

إلا أن الكندي ما لبثَ أن أحسَّ أن علمَ الكلامِ لا يُشبعُ

نَهَمَه إلى المعرفة ، ففكَّرَ أن يتّجهَ إلى الفلسفةِ وعلومِها .

وكانت مواهبُ الكنديّ واستعداداتُه تقودُه إلى العلومِ الرياضية . وهكذا اتخذَ الكنديُّ قرارَه بالسفرِ إلى بغداد ، عاصمةِ الخلافة ، وملتقى العلماءِ والفلاسفة ، ليدرسَ هذه العلومَ على أيدِي كبارِ أساتذتِها .

السفرُ إلى بغداد

يصلُ الكنديُّ إلى بغدادَ وهو بعـدُ في سنِّ الشبـاب، تجتذبُه ناسُها وحضارتها ومجالس علمائهـا. وفـي بغـدادَ يبدأُ الكنديُّ في دراسةِ الفلسفة، وما يتصلُ بها من علومٍ طبيعيةٍ ورياضية.

لم يكن أمامَ طالـبِ الفلسفـةِ في ذلك العصرِ إلاّ أن يعتمدَ على الترجماتِ التي بدأت تظهرُ لأَهـمِّ المراجـعِ الأجنبية. وهذا هو ما فعلَه الكندي. أخذ يتابعُ أجزاءَ هذه الكتب، ويشاركُ في نقلِها، ويكلفُ البعضَ بترجمةِ جانبٍ منها، ثم يلخّصُها ويعملُ على تفسيرِها. فاستطاعَ بهذا أن يدرسَ كُتبَ أرسطو في المنطقِ والطبيعةِ والأخلاقِ وما بعدَ الطبيعةِ والسياسة.

وفـي مجـالِ العلـومِ الـطبيةِ دَرسَ كتـبَ أبقـراطَ

وجالينوس. ومالَ الكنديُّ إلى آراءِ مدرسةِ أبقراطَ التي تقومُ على العلاجِ الطبيعي. واستفادَ من مبدأ الاعتمادِ على التجربةِ الذي سارَ عليه جالينوس.

أما في العلومِ الرياضيةِ التي نبغَ فيها الكنديُّ ووضعَ فيها الكثيرَ من الكتبِ والرسائل، فقد بدأَ بدراسةِ هندسةِ اقليدس، ثم عِلمِ الفلكِ من كتابِ المَجِسْطيّ لبطليموس. فأصبحَ على معرفَةٍ وثيقةٍ بالعلومِ اليونانيةِ وبخاصةٍ الرياضيات.

اعتمدَ الكنديُّ في دراستِهِ على لُغتين، اليونانيةِ والسريانية. وكانت العلومُ فِي ذلك الوقتِ لا تزالُ في يدِ قلةٍ منِ السّريان، وهم طائفةٌ مسيحيةٌ انشقّت عن كنيسةِ انطاكية وعاشت في سوريا والعراق. كان الكنديُّ من أوائلِ العربِ المسلمين الذي اعْتَنَوا بعلومِ اليونانِ والسريان، ولم يكن ذلك سهلاً. فقد كانت علومُ الطبِّ والهندسةِ والحسابِ والفلسفةِ احتكاراً في أيدي السّريان والفُرس. وقد تجمَّعت لديهم معارفُ اليونانِ وفلسفتُهم. انتلقت من أثينا إلى الاسكندرية، ثم من الأسكندريةِ إلى مُدنِ الشام. ومنذ أيامِ الخليفةِ المنصورِ الذي انشأ مدينةَ بغداد،

بدأت حركةُ نقلِ المراجعِ الطبيةِ إلى اللغةِ العربية، غيرَ أنَّ العلاجَ بقي في أيدي الأطباءِ السِّريان الذين وَثِقَ فيهم المسلمون. ولا شكَّ في أن هؤلاء الأطباءَ كانوا يقاومون كلَّ مَن يسعى إلى تحصيلِ هذه العلوم، وإلى انتزاعِ الحِرْفةِ التي يفتخرون بها، ويكْسِبون بها القوةَ والمكانَة والمالَ الوفيرَ والقُربَ من السلطان.

لكنَّ الكنديَّ استطاعَ برغمِ هذه العقباتِ أن يدرسَ الطبّ، وأن يتفوقَ فيه، وأن يبتكرَ أساليبَ جديدةً للعلاج.

والكنديُّ فيما أخذَ من علومِ اليونانِ والسّريان أثناءَ دراستِه، لم يكن بالمترجمِ الحَرْفيّ، الذي ينقلُ النصَّ كما هو من أصلِه الأجنبي، لكنّه يقتبسُ ويُعدِّلُ ويُضيف، ويعيدُ الصياغَةَ بشكلٍ جديد، بعد أن يتأملَ النصَّ ويهضمَه. إلى جانبِ هذا كلِّه كان يلائمُ بين الأفكارِ التي يقرأُها، وبين مقتضياتِ العصرِ ومطالبِ الإسلام، وطريقتِه الخاصةِ فِي التفكير. وهي الطريقةُ التي عُرفتْ بين العلماءِ فيما بعد بالتلخيص. وهو في هذا أقربُ إلى

معنَى الاقتباسِ المعاصر، كان يأخذُ المادةَ العلميةَ من أصلِها، ويُحوِّرُها بحيث تناسبُ الأذنَ الشرقية، ومنطقَ التفكيرِ الشرقي، ومقتضى الحياةِ الشرقية.

وفي بغداد، لم يكن الكنديُّ بعيداً عن الأدب. فقد استطاعَ بدراستِهِ الأدبيةِ أن يصبحَ صاحبَ أسلوبٍ عربي جميل، وذوقٍ ناضجٍ في النقد، بالإضافةِ إلى أنه كان يَنظمُ الشعر. ومما يكشفُ عن ذوقِه الأدبي، تلك القصةُ المعروفةُ له مع الشاعرِ أبي تمّام. فيحكى أن الكنديَّ كان حاضراً عند أحمدَ بنِ المعتصم، فدخلَ أبو تمام، وأنشدَ قصيدتَه السينيةَ إلى أن قال فيها:

إقدامُ عمروٍ في سَماحةِ حاتمٍ
في حلمِ أحنفَ في ذَكاءِ إياس

قال له الكندي: ما صنعت شيئاً. سأل أبو تمام: كيف؟. أجابَ الكندي: ما زدت على أن شَبّهت ابنَ أميرِ المؤمنين بصعاليك العرب، فضلاً عن أن شعراء دهرنا تجاوزوا بالممدوح من كان قبله. ألا ترى إلى قول العكوك في أبي دُلف:

رجل أبرَّ على شجاعةِ عامرٍ
بأسا وغَبَّر في مُحيًّا حاتم

فأطرق أبو تمام، ثم أنشد مرتجلاً:

لا تُنكروا ضَرْبي له من دونِه
مثلاً شروداً في النـدَى والباس
فاللهُ قد ضربَ الأقلَّ لنورِه
مثلاً من المِشْكاةِ والنّبراس

ومع هذا، فإن الأدبَ لم يكن هو الميدانُ الذي ظهرت فيه مواهبُ الكنديّ وآثارُ عبقريتِه. وكان الأدبُ ضمنَ العديدِ من العلومِ التي زَوَّدَ بها الكنديُّ عقلَه، حتى يكون جديراً بسلالةِ الملوكِ التي أتى منها، ولائقاً لمحضرِ الملوكِ والخلفاءِ الذين قرّبوه إلى مجلسِهم.

فِي بلاطِ الخلفاء

ذاعَ صيتُ الكنديّ في بغداد، وعَرَفَ الجميعُ تفوقَه في سائر العلوم، كما اشتُهرَ بين طالبي العلمِ والمعرفةِ

بالمكتبةِ الضخمة التي كان يمتلكُها، والتي أطلقَ عليها «الكنديّة»، والتي كانت تحتلُّ جانباً ضخماً من بيتِه الكبيرِ في أفخمِ أحياءِ بغداد.

وصلَ الكنديُّ إلى مكانةٍ ملحوظةٍ لدى الخليفةِ المعتصمِ بالله، فأوكلَ إليه تعليمَ ابنِه أحمدَ وتثقيفَه. وأغلبُ مؤلفاتِ الكنديِّ كانت على صورةِ رسائلَ يجيبُ فيها عن بعضِ الأمور، التي طلبَ فيها أحمدُ بنُ المعتصمِ استفساراً في نواحِي العلمِ والأدب. وإذا كانت الظروفُ لم تسمح للكنديِّ بتولي منصبٍ من المناصبِ الكبرى، كالولايةِ أو الإمارةِ شأنَ أجدادِه، فقد كان يعيشُ في كنفِ الخلفاء، وكان يتمتعُ بعطفِهم عليه، وبمِنَحِهم الجزيلة.

لقد عاصرَ الكنديُّ عدداً كبيراً من الخلفاءِ العباسيين، ولدَ في عهدِ هارونَ الرشيد، ونبغَ في عصرِ المأمون، وذاعَ صيتُه في خلافةِ المعتصم، ومرت به بعضُ المحنِ في أثناءِ حكمِ المتوكّل، ويبدو أنه آثرَ الابتعادَ عن جوِّ المناصبِ السياسيةِ لِما فيه من تقلباتٍ ومغامرات، فانعزلَ

بنفسهِ عن محيطِ الخلفاءِ الذين تعاقبوا على الحكمِ حتى زمانِ المستعينِ باللهِ الذي قُتلَ في أعقابِ فتنةٍ مرّت بالبلاد.

وفي جميعِ الأحوال، كان الكنديُّ جديراً بمعاشرةِ الخلفاء، فهو من أبناءِ الملوك، واسعُ العلم والثقافةِ، له منزلةٌ رفيعةٌ في اللغةِ والأدب، وهو قد بلغَ تلك المرتبةَ عن جدارةٍ واستحقاق. وإذا كانت المناصبُ السياسيةُ قد فاتته، فقد رفعَ نفسَه فوقَ أصحابِ السلطانِ بما حصَّلَه من العلومِ والآداب، وبما أضافَه على كلِّ ما استوعبَه منها. وقد هَيّأت له معارفُه الواسعةُ بالعلومِ أن يرتفعَ إلى منزلةٍ كبيرةٍ في خلافةِ المأمون والمعتصم، وبخاصةٍ عند ابنِه أحمد، فقد قال ابنُ نَبَاتَة عنه «وكانت دولةُ المعتصمِ تتجمّلُ به، وبمصنَّفاتِه وهي كثيرةٌ جداً». وقال ابنُ أبي أُصَيْبِعَة «وكان يعقوبُ بنُ اسحاقَ الكنديُّ عظيمَ المنزلةِ عند المأمونِ والمعتصم، وعند ابنِه أحمد».

ويبدو أن المكانةَ التي حقّقها الكنديُّ في مختلفِ فروعِ المعرفة، والمنزلةَ التي حظيَ بها عندَ الخلفاء، أثارت حِقْدَ عددٍ من العلماءِ الذين ضَمَّتهم حاشيةُ هؤلاء

الخلفاء، فهاجموه من كلِّ جانب، وبكلِّ سلاح. وتناقلوا عنه الكثيرَ من الشائعاتِ التي وصلَت إلى كتبِ التاريخِ والسِّيرة، فشوَّهت سيرتَه وأساءت إلى منزلتِه. وكما قلنا، كان الكنديُّ مقرّباً من المأمون، عظيمَ المنزلةِ عندَ المعتصمِ يحضر مجلسه ويتولى تعليم ابنه، فدفعَ ذلك علماءَ عصرِهِ إلى تدبيرِ المكائد، واصطناعِ الدسائسِ لإبعادِه عن بَلَاطِ الخلفاء، حتى ينفردوا بالحَظْوةِ عندَهم.

ومما يُروَى عن جوِّ التنافسِ والدسائسِ الذي كان شائعاً بين علماءِ البلاط، ما حدثَ أيامَ الخليفةِ المتوكلِ الذي ضمَّ بلاطُه عدداً من العلماء. كان من بين هؤلاءِ العلماءِ محمدُ وأحمدُ ابنا موسى بنِ شاكر، وكانا يَكيدان لباقي العلماءِ حتى يَنفردا بمكانةٍ خاصةٍ عندَ الخليفة. وقد نَجَحا في إبعادِ عالمٍ فاضلٍ يسمّى سندَ بنَ علي، ودبَّرا مكيدةً للكنديِّ جعلت المتوكل يضربُه، ويبيحُ لهما مكتبتَه الثمينةَ التي كانت معروفةً باسمِ «الكنديّة»، فنَهَبا أهمَّ كُتُبِهِ ومراجعِه.

عندما انفردَ محمدُ وأحمدُ بالمتوكل، لم يجدْ غيرهَما

يُوكِلُ إليه أمرَ حفرِ النهرِ المعروفِ باسمِ «الجعفريّ»، فَنَدَبا مهندساً لهذا العمل، أخطأ في حساباتِه، مما جعل منبعَ النهرِ منخفضاً عن باقِي أجزائه، ولهذا امتنعَ تدفُقُ الماءِ في النهر. حاولَ محمدُ وأحمدُ أن يُدافعا عن أخطاءِ ذلك المهندس، إلا أنّ المتوكلَ أرسلَ يستدعي سند بن علي ليواجهَهُما به. قال المتوكل لسندٍ أمامَهما: ما تَرَكَ هذان الرديّان شيئاً من سوءِ القول، إلا وقد ذَكَراك عندي به، وقد أتلفا جملةً من مالي في هذا النهر، فاخرُجْ إليه حتى تتأمّلَه وتخبرَني بالغلطِ فيه، فإنّي قد آليتُ على نفسي إن كان الأمرُ على ما وُصِفَ لي، أن أصلِبهما على شاطئِه.

خرج سند معهما، وأخذَ محمدُ بنُ موسى يستعطفُه، ويقول له إنّ العفوَ عندَ المقدرةِ فضيلة، ويعترفُ بجريمتِه هو وأخيه في حقِ سند. فقال سندٌ لهما: أنتما أعلمُ بما بيني وبين الكنديّ مِن عداوةٍ وخِصام، ولكنَّ الحقَّ أَولى أن يُتَّبع، أكان من الجميلِ ما فعلتماه بكتبِه ومَرَاجعِه؟. واللهِ لا أسمعُ منكما أيّ كلام، حتى تَرُدّا الكتبَ إلى الكندي.

فما كان منهما إلا أن حمَلاَ الكتبَ إلى الكِندي، وأخذا

منه إيصالاً بتسلّمِه كافةَ كتبِه التي كانت لديهما. وعندما عادا إلى سندٍ بالإيصال، سألاه: وماذا عن النَهر؟. قال لهما: إن الخطأَ في هندسةِ النهرِ سيختفِي بعد أربعةِ أشهر عندما يفيضُ دِجلة، فإذا سألني الخليفةُ قلت له إنكما لم تُخْطئا. وبالفعل، فاضَ النّهر، وجَرى الماءُ في «الجعفري»، وانصرفَ المتوكلُ عن هذا الموضوع.

وحتى عندما تمكَّنَ الكنديُّ من تثبيتِ أقدامِ الفلسفة، تلقّى هجومَ رجالِ الدين، ونشأَ الصراعُ التاريخيُّ بين الفلسفةِ والدّين، ذلك الصراعُ الذي استمرَّ طويلاً على مدى التاريخِ الإسلاميّ.

بَخيلٌ أم مدبّر؟

لم يَسْلَم الكنديُّ من ألسنةِ معاصريه، وكلَّما أَعْيَتْهم محاولاتُ الهجومِ على علمِه ومعارفِه، بَحَثوا عن مَطْعَنٍ جديد في شخصِه أو سلوكِه. ومن هنا تعدّدت عن بُخلِه وتقتيرِه النوادر. وهي نوادرُ إن بَدَا تزييفُها، وفاحت منها رائحةُ الصَّنْعَةِ والتلفيق، فقد شاعت في كتاباتِ الكُتّاب،

حتى تَبنّاها الجاحظُ في كتابِه «البخلاء».

ونتيجةً لصفةِ الفلسفةِ التي لحِقَت بالكنديِّ عن جدارة، خَلَطت تلك النوادرُ بين صفةِ البخلِ والمعرفةِ الفلسفية. ومن هذه النّوادر، أن أمَّه أرسلت تطلبُ منه ماء بارداً، فقال لجاريتِه: املئي الكوزَ بماءٍ ساخنٍ من عندِها، وأفرغيه عندنا، ثم املئي لها الكوزَ من عِندِنا بالماءِ البارد. ثم قال مُعقّباً: أعطتنا جوهراً بلا كيفيّة، وأعطيناها جوهراً بكيفيّة. والنكتةُ فلسفيّة، تشيرُ إلى اصْطِلاحاتِ الجوهرِ الذي هو الماءُ في حالتِنا هذه، والكيفيةِ التي تمثّلُ البرودة.

وربما كان الكنديُّ بخيلاً في حياتِه بعضَ الشيء، وربما كان مقتصداً مدبّراً. ولعلَّ السببَ في ذلك راجعٌ إلى ما وعاه منذ صِغَرِه حولَ تقلبِ الأحوالِ وضرورةِ الاحتياطِ للمستقبل، بعد وفاةِ أبيه وانتقالِ أمِّهِ من قصرِ الإمارةِ إلى بيتهم في الكوفة. بل لعلَّ السببَ هو حرصُه على إنفاقِ كلِّ ما يصلُ إلى يدِهِ على الكتبِ واقتنائِها، ودفعِ ثمنِ الترجمةِ والنَّسْخ. غير أن الجاحظَ لم ينظرْ إلى هذه الاعتبارات، فأورد في كتابِه العديدَ من النوادرِ حولَ

بخلِ الكنديِ وتقتيرهِ.

وممّا أوردَه أنّ الكنديَّ كان يزعمُ دائماً أن بدارِه امرأةً حاملاً وَحْمَى، ما أن تشمَّ رائحةَ الطعامِ التي تهبُّ من بيوتِ الجيرانِ يطلبُ منهم أن يُسْعفوا الحاملَ ولو بمغرفةٍ صغيرةٍ من ذلك الطعام. وهكذا كانت أطباقُ الطعامِ تردُ إلى بيتِ الكندي كلَّ نهارٍ تحملُ ما تنوَّعَ من أصنافِه. فكان الكنديُّ يقولُ لأبنائِه: أنتم أحسنُ حالاً من أصحابِ الضِّياع والأراضِي الواسعة، فكلُّ منهم يأكلُ صِنْفاً واحداً من الطعام، أما أنتم فتأكلون كلّ الأصناف.

ومنها تلك القصةُ التي رَواها شَخْصٌ يسمَّى معبداً كان يسكنُ في دارٍ للكندي. فقد حدث أن نَزَلَ ضيفان على مَعْبَد، ابنُ عمِّه ومعه ابنٌ له، فتسلمَ في اليومِ التالي ورقةً من الكنديِّ يقولُ فيها: «إذا كان مَقْدِمُ هذين القادِمَين ليلةً أو ليلتين احتملنا ذلك، وإن كان إطماعُ السكانِ فِي الليلةِ الواحدةِ يجُرُّ علينا الطمعَ في الليالِي الكثيرة». فكتب إليه معبد: «إن مُقامَهما نحوَ شهر». فأسرعَ الكنديُّ يجيبهُ: «إن الدارَ بثلاثين درهماً، وأنتم ستّة، لكلَّ رأسٍ خَمْسة، فإذا زِدت رجلين، فلا بدَّ من زيادةِ خَمْستين،

فالدارُ عليك من يومِك هذا بأربعين». وعندما استفسر معبدٌ عن الأسبابِ الداعيةِ إلى هذه الزّيادة، مع أن ثِقَلَ أبدانِ الضيوفِ على الأرض، وطعامَهم على الساكنِ لا على صاحبِ الدار، أجابَ الكنديُّ بمرافعةٍ شهيرةٍ مقيماً البراهينَ على صدقِ دعواه على أُسسٍ رياضية.

وقَد بلغَ من نَشاطِ المخترعين لقصصِ بُخْلِ الكنديّ أن اصطنعوا وصيةً كتبَها لابنهِ أبي العبّاس، وقالوا فيها على لسانِ الكندي «الدينارُ محموم، فإن صَرَفْته مات، والدّرهمُ محبُوس، فإن أخرَجْته فرَّ...». غير أن أسلوبَ هذه الوصيةِ المختلقة، يختلفُ بشكلٍ ملموسٍ عن أسلوبِ الكنديّ.

في سنواتِ النضوجِ تلاحَقَت أعمالُ الكِندِيّ، وتتابعت مؤلفاتُه، وقد أوردَ ابنُ النَدِيمِ قائمةً بمؤلَّفاتِه فوصلَ عددُها إلى ٢٤١ كتاباً، موزعةً على ١٧ ناحيةً من نواحِي المعرفة. غير أنّ الكثيرَ من هذه المؤلفاتِ ضاع، فلم يبقَ من أعمالِه سوىَ ٥٠ كتاباً، طُبِعَ منها بالفعل ٤٠ كتاباً، وما زالَ الباقي مخطوطات.

ويجبُ ألا نتصورَ أن جميعَ هذه الكتبِ كانت في أحجامِ الكتبِ التي نتدَاولُها حالياً، ذلك أن معظَمِها لم يكن يتجاوزُ عدةَ صفحات، ويصلُ البعضُ إلى عشرِ صفحات. وهي أشبهُ بالرسائلِ الصّغيرة، أو أوراقِ البحث.

وتجيءُ كتبُ الكنديّ وكأنها إجاباتٌ عن أسئلةٍ سبقَ أن

وُجّهت إليه، فالكتبُ المطبوعةُ نراها موجهةً إلى الخليفةِ المعتصم، أو لابنهِ أحمدَ الذي كان الكنديُّ يعلّمُه، أو لأحدِ زملائهِ من العلماء، أو لأحدِ تلاميذِه الدّارسين. ولذا نرى أن كلَّ كتابٍ يشتملُ على مقدمةٍ تتضمَّنُ ثلاثةَ أشياء: دُعاءً لصاحبِ السؤالِ بالتوفيق، وتلخيصاً للسؤالِ يمكنُ أن نعتبرَه عنوانَ الرّسالة، ثم منهجَه في البحثِ والدراسةِ الذي التزمَه عند التصدِّي لذلك الموضوع.

وقد اتخذَ الكنديُّ من تدريسِه لتلميذِه أحمدَ بن المعتصم، طريقاً لتأليفِ الكتبِ في شتّى الموضوعاتِ الفلسفية، من رياضةٍ وطبيعةٍ وميتافيزيقا وأخلاقٍ وسياسة. وأغلبُ الظنِّ أن الكنديَّ كان يقرأُ الموضوعَ على تلميذِه أولا، ثم يتناقشان فيه، ثم يعودُ التلميذُ فيسألُ الكنديَّ سؤالاً، وهنا يشرعُ الكنديُّ في تأليفِ الرسالةِ رداً على ذلك السؤال.

وبالإضافةِ إلى تلميذِه أحمد، تعلَّمَ عَلَى يديه عددٌ من التلاميذ، كانوا يَفِدون إلى دارِه حيث توجدُ مكتبتُه «الكندية» الغنيةُ بالمؤلَّفات. ويبدو أنّه لم يكن يكتُبُ الرسائلَ إلا لابنِ الخليفة، أما باقِي التلاميذ، فكان

يتحدثُ إليهم، ويتولّونَ هم تسجيلَ ما يقول. لذا تعدّدت الرسائلُ المنسوبةُ إليه، وفيها تكرارٌ لنفسِ الموضوعِ ونفسِ الفكرة، مع بعضِ الاختلافاتِ بالزيادةِ أو النُّقصانِ أو التحوير.

وقد تنوَّعت مؤلفاتُ ورسائلُ الكنديِّ في جوانبِ المعارفِ والعلومِ على الوجهِ التالي: ٢٢ كتاباً في الفلسفة، ٨ كتب في المنطق، ١٢ كتاباً في الحِساب، ٨ كتب في الكُرَيَّات (الهندسة الكرويّة)، ٧ كتب في العلوم الموسيقية، ١٩ كتاباً في علمِ النجوم، ٢٣ كتاباً في الهندسة، ١٦ كتاباً في الفلك، ٢٢ كتاباً في الطب، ١٠ كتب في القوانين، ١٧ كتاباً في الجدَل، ٥ كتب في علمِ النفس، ١٣ كتاباً في السياسة، ١٤ كتاباً في العلوم الطبيعية، ٨ كتب في الأبعادِ، ٥ كتب في المقدّمات، ثم ٢٣ كتاباً في جوانبِ المعرفةِ المنوّعة.

كان سببُ وفاتِه وتاريخُ وفاتِهِ موضوعَ خلافٍ بين المؤرّخين، والأغلبُ أنه توفّي عام ٨٦٤ م (٢٥٢ هـ)، في نفسِ السنةِ التي توفّي فيها الخليفةُ المستعينُ بالله، الذي قُتِلَ في إثرِ فتنةٍ حدثت بالبلادِ عام ٢٥٢ هجرية.

أما عن سببِ الوفاة، فيقال إنه كان مصاباً بداءٍ في ركبتيه يسببُ له آلاماً شديدة، وإنه أخذَ يجربُ وسائل العلاجِ المختلفة، فانتقلت الآلامُ إلى رأسِهِ، حتى مات.

إنجازاتُ الكنديّ

يُعزْىَ إلى الكنديّ أنه سجَّلَ الحضارةَ الإسلاميةَ في زمانه، ورسمَ خطوطَها العامة التي ينبغِي أن تسيرَ عليها في المستقبل. فهو الذي صنّفَ الفلسفةَ إلى نظريةٍ وعمليةٍ، وقال إن النظريةَ تشمَلُ الرياضياتِ والطبيعيات، ودافعَ عنها وبيَّن فَضْلَها، فاستمرّت من بعدِه لعدّةِ قرون. وهو الذي وفَّقَ بين الدينِ والفلسفة، وحدَد معالمَ هذه المسألة، ورسمَ طريقَ حَلِّها بما يُرضِي الدينَ ويُقنِعُ العقل، لهذا كلِّه استحقَّ لقبَ «فيلسوف العرب» الذي أُطلقَ عليه.

وفيما يلي بعضُ جوانبِ إنجازاتِه.

تصنيفُ العلوم

لما كانت الفلسفةُ محيطةً بجميعِ المعارف، فقد كان طبيعياً أن يَهتمّ الفلاسفةُ بتصنيفِ العلوم. وكان على الكندِيّ، باعتبارِهِ أولَ عربيٍّ مسلمٍ يخوضُ غمارَ الفلسفة، أن يتصدَّى لهذه المشكلةِ بطريقةٍ رائدة. وهو في واقعِ الأمرِ لم يبتدعْ تصنيفَ العلوم، فقد سبقَه إلى ذلك فلاسفةُ اليونان. غير أنه قامَ بالتوفيقِ بين المذاهبِ المختلفةِ في تصنيفِ العلوم.

ويتميَّز تصنيفُ العلومِ عندَ الكنديّ بميلٍ إلى العلومِ الرياضية. فكان يَرى أن تَعلُّمَ الرياضياتِ ضَرورةٌ لا بدَّ منها قبلَ تعلمِ العلومِ الفلسفية، ليتسنَّى لطالبِ الفلسفةِ فهمُها عن درايةٍ لا عن حفظ. ولم يلتزمِ الكنديُّ في ترتيبِ العلومِ الرياضيةِ ذَاتِهَا بتصنيفٍ واحد، فهو تارةً يصنفُها على أساسِ نظريةِ المعرفة، وتارةً أخرى على أساسِ التدرّجِ من البسيطِ إلى المركَّب.

الموسيقى

كان الكنديُّ أولَ من وَضَعَ قواعدَ علمِ الموسيقى، فشقَّ الطريقَ أمامَ الفارابيّ ثم ابنِ سينا، وهما اللذان طَوَّرَا هذا العلمَ وهَذّباه. ولا شك أنّ اهتمامَ الكنديّ بالموسيقى راجعٌ من ناحيةٍ لعلاقتِها بالرّياضيات، ومن ناحيةٍ أخرى لأنّها كانت إحدَى سِمَاتِ عَصرِه. فقد كان الخليفةُ المهديّ مُغرماً بالموسيقى ومن أحسنِ الناسِ صوتاً، فازدحَمَ بَلاطُه بالموسيقيين. كما ظهرَ في خلافةِ هارون الرشيد، إبراهيمُ المَوْصِلّي، وابنُ جامِع، وزلزل. ثم غنّى اسحاقُ الموصلي، ومُخارِق، وعَلَويّة في بلاطِ الخليفةِ المأمون. فظهر الكثيرُ من التأليفاتِ الموسيقيةِ منذ خلافةِ الرشيد.

في هذا الجوِ الفنيّ الذي ارتفعت فيه أصواتُ الغناء والموسيقَى عاشَ الكندي، فوضعَ للموسيقيين الأصولَ

النظريةَ التي يمكنُ أن تُبنَى عليها أنواعُ الغنـاءِ والألحـانِ الموسيقية. فكان الكنديُّ صاحبَ أولِ مدرسةٍ للموسيقى في الإسلام، كما كان إسحـاقُ المَوْصِلـيّ صاحـبَ أولِ مدرسةٍ في الغِناء.

وللكنديِّ مؤلَّفاتٌ في صناعةِ التأليفِ والموسيقى، وفي الآلاتِ الوَتَرِيّة، وفي التلحين. ولم يكن الكنديُّ ينظرُ إلى الموسيقَى لذاتِها، ولكنه كان يَعُدُّها وسيلـةً لتحقيقِ غايةٍ إنسانيةٍ أعلى.

رسائلُ الكندي في الفلكِ غيرُ موجودةٍ الآن، حتى نعرفَ مدَى مساهمتهِ في وضعِ الأسسِ الجديدةِ لعلمِ الفلكِ العربي. ولكن توجدُ بعضُ رسائلِه المترجمَةِ إلى اللاتينية، ومنها نعرفُ منزلتَه الكبيرةَ في هذا العِلم.

لقد فاقت شهرةُ الكنديّ في أوروبا، شهرتَه عندَ أهلِ وطنِه والناطقين بلغتِه خلالَ العصرِ الوسيط. ففي أوروبا كانوا يعتبرونه أحدَ ثمانيةٍ هم روادُ علمِ الفلَكِ، وقاموا بترجمةِ الكثيرِ من رسائلِه في علمِ الفلكِ إلى اللاتينية، ولا يزالُ بعضُها مسجَّلاً باللاتينية، رغمَ ضيَاعِ أصلِه العربيّ.

الكيمياء

جمَعَ الكندي في رسائِله التي أطلقَ عليها «الأنواعيات» الكثيرَ من ألوانِ المعرفة، بعضُها كيميائي بحت، وبعضُها يدخلُ تحتَ الصناعاتِ التكنولوجية.

ومن الأبحاثِ الكيميائيةِ رسالةٌ في صناعةِ العطورِ وكيميائِها، تحت اسم «كتاب الترفقِ في العِطر»، وأخرى تحتَ اسمِ «كيمياء العِطْرِ والتصعيدات»، وفي هاتين الرسالتين، يتعرضُ الكنديُّ لأسسِ صناعةِ العطور، وبخاصةٍ المِسْك، الذي يُورِدُ أكثرَ من طريقةٍ لصنعِه وتحضيرِه.

وعاصرَ الكندي ذلك الصراعَ العلميَّ الفلسفي، حول إمكانِ تحويلِ المعادنِ الرخيصةِ إلى ذهب. وقد عارضَ هذا الحلمَ بشدة، وكتبَ في ذلك رسالتين، إحداهما تحت

عُنوانِ «التنبيه على خِدعِ الكيميائيين» ، والثانيةُ بعنوان «إبطال دعوى من يدعي صنعَ الذهبِ والفِضّة» ، وهو ينكرُ في هاتين الرسالتين إمكانَ أن يستحدثَ الناسُ مَعْدِناً غير موجودٍ في الطبيعة ، أو يُحَوّلوا معدِناً من المعادنِ إلى معدنٍ آخرَ مختلفٍ في طبيعتِه .

ومن رسائِله التي جاءت تحت عنوان «الانواعيات» والتي هي أقربُ إلى المصنوعاتِ الحَضَارِيةِ منها إلى الكيمياء ، تلك الرسالةُ التي أسماها «رسالة في السيوف وأجناسِها» . وفي صدرِ هذه الرسالةِ يوضّحُ الكنديُّ المنهجَ الذي اتَّبَعه في تجميعِ المعلوماتِ الضروريةِ لهذه الرسالة ، وفيها يوضّحُ الفروقَ بين أنواعِ السّيوف ، من حيثُ المعدنُ الذي تُصنعُ منه ، والصورةُ التي تكونُ عليها ، وطريقةُ صنعِها . ثم يتحدثُ عن الفوارقِ بين أسعارِها ، وطرقِ معالجةِ السيفِ الذي يُثْلمُ حَدُّه من كثرةِ الضربِ والطِّعان .

ثم هناك رسالتُه عن «الأدوية المركَّبة» ، وهي غيرُ موجودةٍ باللغة العربية ، ولكن توجدُ ترجمةٌ لها باللاتينية . في هذه الرسالةِ يسبقُ الكنديُّ الكثيرين من علماءِ

أوروبا، بنظريتِهِ في التناسبِ الهندسيِّ بين قَدْرِ الـدواءِ ومفعولِه بالنسبةِ للمريض. هذه النظريةُ التي لم تلـقَ في زمانِهِ صدىً، فماتت إلى أن ظهرت بطريقةٍ تجريبيةٍ على أيدي العلماءِ الألمان.

النَّفْس

في دراسةِ النفس، جَمَعَ الكنديُّ بين مَذهبي أفلاطون وأرستطاليس، فقال: «إن النفسَ بسيطة، ذاتُ شرفٍ وكمالٍ، عظيمةُ الشأن، جوهرُها من جوهرِ البارِي عزّ وجلَّ، كقياس ضياءِ الشمس ِ من الشمس».

ثم يقولُ إنَّ النفسَ الإنسانيةَ لا تنامُ أبداً، وإنما هي في حالةِ يَقَظةٍ دائمة. وقد أفاضَ الكنديُّ في الحديثِ عن النوم ِ والرؤيا، في رسالةٍ له تحمِلُ هذا العنوان، وقد نُقِلَت هذه الرسالةُ إلى اللاتينية.

أولُ من لُقّبَ من العربِ بالفيلسوف، هو أبو يوسف يعقوبُ بنُ إسحاقَ الكِندي، الذي أُطلقَ عليه «فيلسوف العرب».

قدَّمَ كتابَه الفلسفيّ «في الفلسفة الأولى» إلى الخليفةِ المعتصمِ بالله، وقد جاء هذا الكتابُ موافقاً لآراءِ أرسطو، الذي كان الكنديُّ على اطلاعٍ وثيقٍ على كتبه. وقد عُنِيَ الكنديُّ في مقدمةِ كتابهِ هذا، بنفيِ تهمةِ الكفرِ عن الفلاسفة. وقد جاء هذا نتيجةً للصراعِ الذي شهدَه بين الفلاسفةِ ورجالِ الدين، الذي استَخْدَمَ فيه بعضُ رجالِ الدين تهمةَ الكفرِ والإلحاد، كسيفٍ مُسْلَطٍ على رقابِ الفلاسفة. ويقولُ الكنديّ إن الفلسفةَ والدِّينَ متّفقان موضوعاً، لأنّ موضوعَ الفلسفةِ هو معرفةُ اللهِ

ووحدانيتُـه، ومعرفـةُ الفضائـلِ النافعـةِ لاتّباعِهـا، والرذائلِ الضارّةِ لاجتنابِها، وهذا هو موضوعُ الدين، الذي يأمرُ بمعرفةِ اللهِ وتوحيدِه، كما يأمرُ بالتقوى، وهي فعلُ الحَلاَلِ وتجنبِ الحرامِ ، والتحلّي بمكارمِ الأخلاق.

وقد تعرّضَ الكنديُّ في رسائلِه للكثيرِ من الموضوعاتِ الفلسفية، فشقَّ لها طريقاً جديداً بين العربِ والمسلمين.

علماء العرب

تتناولُ هذه السلسلةُ بأسلوبٍ مُشوِّق، وبعبارةٍ واضحة، حياة ستةَ عشر من مشاهير علماء العرب، لذين ساهموا في تقدّم الحضارة،وفتحِ آفاقٍ جديدةٍ في العِلمِ والمعرفةِ أمام الإنسانية والسّلسلة، باختصار، غايةٌ في لأهميّة، لأنها تقدمُ للجيل العربيِّ الجديدِ الوجه لأصيل من تُراث العرب لذي أفاد منه العالمُ أجمع، وأَثنى عليه لغربُ قبل العرب أنفسِهم

حلقات هذه السلسلة

١ - ابن سينا	٢ - ابن لهيثم	٣ - لراري
٤ - ابن خلدون	٥ - ابن بطّوطة	٦ - الجاحظ
٧ - لبيروني	٨ - الكندي	٩ - جابر بن حيّان
١٠ - ر رياب	١١ - ياقوت الحموي	١٢ - الكواكبي
١٣ - بن لأثير	١٤ - الفارابي	١٥ - لجبري
١٦ - الشريف لإدريسيّ		

الموسسه العربيه للدراسات والنشر
بناية برج الكارلتون - ساقية الجنزير - ت ١ ٨٠٧٩٠٠ برقياً «موكيالي»
بيروت - ص ب ٥٤٦٠/ ١١ بيروت تلكس LE / DIRKAY - ٤٠٠٦٧